الخميس 10 آذار 2016 – الموافق أول جمادى الثانية 1437 هـ – العدد 13314

AS-SAFIR Arabic political daily - Thursday March 10, 2016 N° 13314

كيدهنّ عظيم!

لن يمكن وقف التدهور في منطقتنا طالما بقيت النساء معطَّلات عن الفعل: المشاركة في الإنتاج وفي القرار. بل نلحظ أنه كلما اشتد التدهور، وازدادت فرعنة القوى التي تديره، كلما جرى الإمعان في اضطهاد النساء وإقصائهن بدعاوى شتى، منها ما يتوسل الدين، وهو مجال واسع لتفسيرات بحسب الأهواء، ومنها ما يقدِّم مبررات «عقلانية»، اجتماعية واقتصادية (كالإخافة من زيادة البطالة أو من التفكك الأسري والمجتمعي..).

القوى المتفرعنة تمارس مزيجاً من التسلط والنهب معاً، وواحدهما شرط للآخر وأداة له في آن. وحتى تشتغل هذه الماكينة، فلا بد أن يكون وقودها صيغ فكرية ونفسية متخلفة ومبتذلة. ينطبق ذلك حرفياً على كل الأوضاع القائمة في بلداننا، مهما تغيرت الأردية. ولم يقدم التاريخ ولا الجغرافيا أمثلة تعاكس القاعدة: النهضة مرتبطة دوماً بحضور النساء في الحقل العام.

وهنَّ، بتعطشهن للوجود، وصبرهن الصلب المثابر، وحيويتهن الفائقة، والتصاقهن بالواقع، وفائض العاطفة التي يختزنّ.. يبدون «مرعبات»! كيف لم يُسحقن ـ وقد قيل وفُعل كل شيء من أجل تأبيد استعبادهن؟

ذلك أنهن صنو الحياة! في القارة الأفريقية المنكوبة بقرون من الرق والنهب الاستعماري والاستباحة.. وهي المولِّدة لكل مصائب الأرض، تغير الموقف بشهادة الأبحاث الدولية الأكثر جدية: في أفريقيا السوداء (جنوب الصحراء الكبرى)، اندفعت النساء لمواجهة المجاعات والجفاف والأوبئة، لإنقاذ الحياة وحماية الأبناء، فتولين إنتاج 80 في المئة من الغذاء، وهناك 63 في المئة من نساء القارة يستفدن من قروض بسيطة ميسرة لإنشاء ورش ومشاريع، وفي 18 بلداً منها، تعادلت منذ 2011 نسبة تمدرس البنات والصبيان. وتسجل أفريقيا برغم الفساد والاستبداد معدلات نمو هائلة ومتصاعدة. هن «مستقبل أفريقيا» كما يُسمَين بلا تردد*.

هذه حقائق.. معطيات لا خطباً أو مواقف أيديولوجية. ليست المسألة حقهن كبشر (مع بداهته)، بل الحاجة لهن.. تثبتها نصوص عدد اليوم* التي كتبتها فاعلات ذكيات عن أقرانهن. نصوص من كل صوب لوجوه نساء مشرقة بلا صخب، شابات وطاعنات في السن، في السلم والحرب، عربيات وكُرديات وأمازيغيات.. لا فرق.

* *بحسب الفاو والأونيسكو وسواها..*

* *العدد مخصص للنساء كما في كل عام (وقد ثبّتنا أعلى الصفحات عناوين افتتاحيات الملحق في كل 8 آذار/ مارس منذ صدورنا قبل 4 سنوات). ولكن ليس فحسب: انظروا نصوص «دفاتر السفير العربي» عن النساء والتي نُشرت على مدار الأيام.*

نهلة الشهال

نجوى الكبيرة

تحوم نجوى الصغيرة حول جدّتها، نجوى الكبيرة. تتفقّدها، تلمس أقدامها، تضحك وتصرخ وتبتعد عنها ثم تلتف حول الكرسيّ لتحاول أن تدفع العجلات وتأخذ جدّتها المُقعدة «باي». ابنتي التي بدأت لتوّها تمشي وصار لحذائها اسم خاص به، مشغولةٌ طول النهار باكتشاف السر الذي يجعل جدّتها، أمّي، غير قادرة على الترجّل مثلنا كلّنا. حين تجتهد نجوى الصغيرة لتتسلّق أقدام جدّتها لتجلس في حضنها، تجتهد الجدّة بالقدر ذاته لتمد يدها المرتجفة بشدّة وتعاون حفيدتها على الصعود. قبل أيام انتبهت ـــ لأوّل مرّة ـــ للتشابه الرهيب بينهما. ليس بالشكل، لا، نجوى طالعة لأبيها. لكن بمقدرات الجسد المتكافئة وابتعادهما المتساوي عنّ منتصف الحياة: ذاكرتهما القصيرة جداً، جسداهما اللذان يشغلهما تغيّرهما، كلامهما غير المفهوم ومفاجأتنا نحن، أنا وأخوتي الخمس، من الكلام العجيب الذي يخرج من فميهما ويُضحكنا دون أن نتوقّعه. قلقهما من الوِحدة متشابه، وهاجس جذب الانتباه الدائم، فالطفلة تَضرب قنّينتها بالأرض لو انشغلتُ عنها دقيقةً، والعجوز توقع الملعقة أرضاً. كيف انتبهت إلى هذا التشابه؟ كنّا نعلّم الصغيرة أسماء الحيوانات بينما جلست جدّتها تحدّق بالنافذة المُطلّة على خليج حيفا لساعات طويلة. يومها، قال إبني يوسف، وهو بالصف العاشر: «يمّا، مش يمكن إذا منعلّم ستّي زي م منعلّم نونو، ترجع تعيش عمر جديد؟».

لماذا أخرست يوسف؟ ربما لأنه تحدّث عن عمر أمّي المنتهي كتفصيل مفهوم ضمناً، وربما لأنه بمراهقته الوقحة، يعتقد أنه يستطيع أن يُعلّم هذه المرأة الصامتة. هذا الوغد الصغير الذي لم يضرب بحياته معولًا في الأرض يُريد أن يعلّم جدّته. حين أجتمع وأخوتي (ذكور كلهم) في البيت، ويحتدم بينهم النقاش السياسيّ ويتحوّل صراخاً وشجاراً عن سوريا أو انتخابات البرلمان الإسرائيليّ، تكون هي جالسة في كرسيها وتنظر إليّ، وحين تلتقي عيناي بعينيها تضحك طويلًا. هذه الضحكة وحدها يا جحش ـ أردت أن أقول لولدي يوسف ـ تخبّئ ما لن تفهمه أنت بمئة عامٍ على الفيسبوك.

لقد قضت هذه المرأة عمرها وهي تفعل شيئاً واحداً: تُخبّئ ما تعرفه.

كانت تخبّئ عن أبي وهي تعرف أنّ ابراهيم إبن صفّي يُحبّني وأحبّه وبيننا مراسلات ومواعيد. ورغم أنها كانت تُهددهم ليمتنعوا، إلا أنها بحياتها لم تُفصح لوالدي عن أن أبناءها يدخّنون السجائر ويشربون كونياك الـ «ثلاث سبعات». أمّي، نجوى، لم تحك يوماً عن حُزنها العميق على زواج إخوتي وانتقالهم، كَلّهم، إلى حيفا. تفهّمتْ: كانت تعرف أن الأمل معدوم في القرية التي لم يبقَ فيها مساحة للتنفّس أو للتطوّر، لا مدرسة تؤتمن على أولادهم ولا عيادة طبيب. وكانت تكره وتغضب وتسخط، بتكتمٍ شديد شديد، كلما جاء أولادها ونساؤهم لزيارتها وعادوا إلى حيفا محمّلين بزيت الزيتون الذي لم يتعبوا فيه ولم يزبّلوه ولم يعشّبوا حوله ولم يقطفوه ولم يقفوا في البّبور ليالي ليُشرفوا على عصره. كانت تلعن حيفا، وأبو يللي عَمّر حيفا، ومع المدينة كانت تشتم زوجات إخوتي رغم أنهن، ليس كلّهن طبعاً، حسناوات ومن بيوت مُحترمة. وكانت تخبّئ حُزنها على البيوت الخالية التيً باع زوجها قطعةً من الأرض ليعمّرها لأبنائه فوق وتحت وخلف وبجانب بيتهم، حتّى أنه اقتطع نصف بيتها الشرح ليعمّر في قسم منه بيتاً للأخ الخامس. كانت تدفن حزنها عميقاً على الأرض التي بيعت، وعلى اضطرارهم لتأجير البيوت لغرباء ليسوا من القرية: «عُمرك سمعت عن حدا في بلدنا ًأجّر داره؟».

يومها حكت. نظر إليها أبي باستهتار، فعادت إلى سكوتها الذي لم يغادرها منذ عقود. لم يغادرها منذ تزوّجت أبي الذي صارحها بغلاظة يوم زفافهما بأنه كان يُريد طلب يد أختها، لكن أمّه رحمها الله أخطأت بالإسم. لكنّه رغم جلافته كان رجلًا لا بأس به. وهي حين تتحدّث عنه لا تحكي إلا الخير، وتتذكّر كيف أخذها إلى غزّة. كانت تخبّئ طقم الصحون الصيني الذي اشترته من غزّة، تنظّفه ولا تسمح حتى لابنتها الوحيدة، أنا، أن تستخدمه أبداً. أظن، والله أعلم، أنها أُعجبت بالبائع حين اشترته وأنها شعرت، لأول مرة في حياتها، أنها تبدو جميلة بعيون شخص ما. لماذا أعتقد ذلك؟ لأنها تقول دائماً أن بحر غزّة أَشلب من بحر حيفا، ولأنها تردد دائماً، كلما انفتح النقاش عن الحصار البربري على قطاع غزّة وصمود المقاومة فيها، أنها لا تفهم علام الشوشرة: «مَا بُكرا بترجع تفتح...».

كنتُ ابنتها الوحيدة، وما كان أي من أخوتي يفهم ما يدور في ذهن أم قاسم. وما حكته لي، لم يعرفه رجل في الحياة: كانت تعرف أن عمّي الكهل «يُحسمس» على بنات أولاده، وكانت تعرف من هو الوحيد الذي تجرّأ في حارة الخطيب كلّها أن يصوّت لمرشّح العائلة المنافسة في انتخابات المجلس المحليّ: هي التي فعلت. وهي التي ظلّت صامتة ساكنة واقفةً حين دخل الجيش بيتنا وسألها أين يختبئ قاسم الذي انضم للجبهة الشعبيّة، وهي التي حبست دمعتها حين أعاثوا في بيتنا خراباً انتقامياً، وكسّروا طقم الصحون الصيني. وحين شاهدت على التلفزيون فيلماً وثائقياً عن يوم الأرض بعد الأحداث بثلاثين عاماً، يتحدّثون فيه عن أحجية المرأة المنقّبة التي شجّت رأس ضابط المخابرات ـ كابتن فهد ـ بالمعول واختفت. ظلّت هادئةً ولم تهتف: أنا!

لكن ابني البكر، حبيبي يوسف الذي صار قدّ الجحش، لا يعرف ذلك كلّه. معلش، لا يزال ولداً. وهو ولد طيّب، يحب جدّته ويساعدنَي في البيت كثيراً، ويهتم بأخته نونو: «يمّا، نونو نامت بحضن ستّي، أروح أقيمها؟».

«أتركها» قلت له ـ «بعد شوي بتفيق لحالها».

رُقيّة الحاج محسن

كاتبة من فلسطين

ليلى شوّا ـ فلسطين

مقهى النساء في أربيل

حلاّقة نسائيّة في أربيل أطلقت مبادرة مبتكَرَة: افتتاح مقهى خاص بالنساء. سمعتُ بها بينما كنت أقوم بعملي الميداني بين المجموعات والمنظمات النسائية في العراق، كجزء من بحثي الذي يتناول النشاط السياسي للمرأة العراقية المعاصرة. سألتُ عنها عدداً من ناشطات المنظمات الرسمية لحقوق النساء، وأحسستُ بعدم ارتياحهنّ. بدا أنها لا تروق لكثيرات منهن. حصلتُ على عنوان صالونها بكلّ سهولة من أشخاص قابلتهم عشوائياً في شوارع أربيل وقررتُ الذهاب للقائها. رحّبت بي أشد الترحيب، واقترحَتْ أن نتحدث عن مبادرتها ونحن نحتسي كوباً من الشاي. عَملَتْ خانم حلاّقة منذ كانت في الثالثة عشرة من عمرها، وهي اليوم في الثَالثة والأربعين. علّمتها والدتها التي كانت حلاّقة أيضاً. وخانم من السليمانية في الأصل، لكنها تنقلت وعائلتها مرّات عدّة بسبب النشاط السياسي لوالدها، وأهلها في بغداد منذ أكثر من خمس سنوات. وبسبب هذا التنقل المتواصل، لم تبلغ خانم التعليم الثانوي قطّ. وحكتْ لي أنّ أهلها لم يوافقوا على زواجها من رجلٍ أحبته لأنَّ أحداً من أسرته كان بعثياً. في العشرين من عمرها، تعرضتً خانم لضغوط كي تتزوج ابن جيرانهم الذين ينتمون إلى عائلة كردية بارزة. وعلى الرغم من خياناته المتعددة التي شهدتها خلال فترة خطبتهما، لم يُسمح لها بفسخ الخطبة وانتهى بها الأمر في عصمته. ولم يحلْ أطفالهما الثلاثة بينها وبين وصف زواجها من هذا الرجل بأنّه أحلك فترة في حياتها.

دفع الوضع السياسي في المنطقة خانم وأسرتها إلى التنقل مرّات عدّة، كان من بينها المكوث في تركيا وإيران لسنوات. حكت عن التشريد الجماعي للكرد في عام 1991، حين فرّت باتجاه الحدود الإيرانية. وقد أنجبت إحدى بناتها بين سيارتين بمساعدة والدتها. تذكّرت خانم هذه التجربة بوصفها صدمة جسدية ونفسية عميقة. ولأنَّ زوجها كان يرفض أي عمل لا يتناسب مع تعليمه، فإنَّ خانم هي التي كانت تتحمّل أعباء البيت المالية، فكانت تعمل عملين أو ثلاثة في آن. وكادت تجنّ من شدّة الفقر، وعدم الاستقرار، والتنقّل المتواصل الناجم عن الاشتباكات العسكرية، وغياب الدعم من طرف عائلتها، والعيش مع زوجها المستقيل وأهله. وبكت وهي تخبرني أنها بلغت درجة من التعب والألم دفعتها إلى محاولة الانتحار، في الرابعة والعشرين من عمرها. بقيت في المستشفى أسبوعاً بعد هذه الحادثة، بدعم مالي من بعض أفراد الأسرة.

على الرغم من نشأتها غير الدينية، تحولت خانم إلى الدين في أواخر عشرينياتها. وكانت ممارستها الشعائر الدينية مصدر استياء أسرتها، خصوصاً زوجها:

«في عام 1998، عندما عدنا من تركيا، ارتديت الحجاب. جُنَّ زوجي. نزعه عن رأسي وصرخ قائلًا إنه سيطلقني ثلاثاً إذا ما عدت إلى ارتدائه. وكان يهزأ بي عندما أصلي. تؤمن أسرتي بالله طبعاً، لكن ممارسة الشعائر الدينية لا تروق لهم».

بعد انفصالها عن زوجها في عام 2010، راحت خانم تصلي وترتدي الحجاب. وتجسّد اهتمامها بممارسة الشعائر الدينية في انتقالها إلى حياة جديدة، خصوصاً بعد حصولها على الطلاق في عام 2011:

«قررت ارتداء الحجاب في رمضان. كنت أنظر إلى نفسي في المرآة بعد قراءة القرآن والحجاب على رأسي، فأرى أنني جميلة جداً به. وأنا أخاف الله، وأحب القرآن الكريم. صرتُ الآن مستقلة مالياً، وأطفالي كبروا، ويمكنني أن أتّخذ خياراتي باستقلال عن زوجي وعن عائلتي وعن أي رجل. كنت أرغب في ارتداء الحجاب منذ زمن بعيد، لكن الجميع كانوا ينهون عن ذلك. أخيراً، بات بمقدوري أن أفعل. لا أحب الأحزاب الدينية، أو أيّ أحزاب سياسية، إسلامي يختلف عنهم كلّهم. ولا أشاركهم أي شيء».

إذا كان التفات خانم إلى الممارسات الدينية يكشف عن تأسلم المجتمع الكردي في سياق صعود التشدد الإسلامي في تسعينيات القرن العشرين، فإنه يكشف أيضاً كيف قادتها معارضتها لعائلتها إلى التعامل مع حياتها وجسدها على طريقتها الخاصة.

بعد لقاءات عدّة، بات تفاهمي مع خانم جيداً للغاية وقررنا أن «نقوم بشيء ما» معاً من أجل مبادرتها. حين زرتها، كان مقهى النساء مغلقاً بسبب صعوبات مالية. وأوضحتْ لي أنّ فكرة المقهى المخصص للنساء نبعت من حقيقة أن الرجال هم الذين يشغْلون المقاهي ومعظم الأماكن العامة في أربيل. وأرادتْ أن تخلق حيّزاً «آمناً» للنساء يجتمعن، يتحدثن ويلتقين خارج فضاءاتهن المنزلية، وبعيداً عن أنظار الرجال المبحلقة. وقد خططتْ لتنظيم أحاديث ومناقشات حول قضايا المرأة، ولاسيّما الجسد والجنس والزواج والطلاق. وأرادت خانم أيضاً تشكيل مجموعة لدعم المطلّقات، مثلها هي نفسها، وفتح مقهى للفتيان والفتيات لرفع وعيهم ووعيهن من خلال مجموعات نقاشية تتناول أمور الحياة الجنسية والزواج.

تحسب خانم أنَّ كثيرين هم الذين يعتبرون مبادرتها «غير لائقة»، وقد وصفتها كثيرات من ناشطات حقوق النساء اللواتي تحدثتُ إليهن بأنّها «خطأ». واشتكت خانم من أنّها لم تحصل من المنظمات النسائية في أربيل على أي قَدْر من الدعم. بل إنها لم تُقَابَل، حين طرحت مشروعها على مثل هذه المنظمات، سوى بمزيد من الانتقاد، وكان الردّ المعتاد: «إنه مشروع ضد الرجال، ما حاجتك إلى مقهى للنساء وحدهنّ؟». وبعدما عرض المركز الثقافي الفرنسي فيلماً قصيراً عن مقهاها النسائي، لمستُ عداء كثير من الناشطات تجاهها. وفي ذلك المكان الذي اجتمعتْ فيه أساساً ممثلات وممثلو المنظمات النسائية والمنظمات غير الحكومية، خاطبتْ خانم الجمهور بعد الفيلم وانتقدت تلك المنظمات على أنشطتها، لافتةً إلى أن تلك الأنشطة لا تتناول احتياجات المرأة العادية:

«تحتاج النساء الكرديات لأن يتكلّمن، ويعبرن عن قضاياهن في ما بينهن، ويتحدثن عن أجسادهن ويتناولن عدم المساواة والتمييز مباشرةً. إنَّ وجود نساء تدعمهن الأحزاب في البرلمان وفي المنظمات غير الحكومية لا يخدم قضايا النساء المباشرة. أنتم لا تتحدثون سوى عن التمثيل في الأحزاب، ولا تأتون قطّ على ذكر القضايا الفعلية. أردتُ مساحةً لنا كي نتحدث عن القضايا الحميمة، وكي نساعد النساء على اكتساب الثقة بالنفس، فلم يدعمني أحد. أردتُ أن نتحدث عن الطلاق والزواج المختلّ وقضايا ملموسة، لا عن النشاط السياسي في هذه المجموعة أو تلك أو هذه المنظمة أو ذاك الحزب فحسب».

أخذت بعض ممثلات المنظمات النسائية البارزات الميكروفون وأعربن عن غضبهن تجاه خانم، قائلات إنَّ مشروعها «فرداني» و «تجاري الغرض»، على عكس المنظمات غير الحكومية التي تهدف إلى خدمة المجتمع ككل. وتحوّل النقاش إلى حاجة النساء للمطالبة بفضاءات خاصة بهن والطريقة التي يجب أن يصغن بها هذه المطالب. ولما كنتُ قد نظّمتُ هذا الحدث مع خانم، فقد فقدتُ حظوتي لدى عديد من الناشطات اللواتي كنت قد أقمت معهن علاقات حسنة. ودفعني ذًلك، في الوقت نفسه، إلى أن أدرك حقائق وحدود التفاعل بين «النساء العاديات» – اللواتي رفضن، مثل خانم، الانضمام إلى أي منظمة رسمية – ونساء المنظمات غير الحكومية في كردستان العراق. وأدركتُ إلى أي مدى يشكّل الامتثال السياسي القاعدة والمعيار داخل كثير من منظمات حقوق النساء والمنظمات غير الحكومية النسائية الرسمية في العراق، كما أدركتُ أنَّ منظمات حقوق النساء لا تسمع النساء العاديات أو تدعم مطالبهن ما لم تمتثل هذه المطالب للإطار الملائم والمفردات المناسبة، مثل «التمثيل السياسي» و «الحقوق القانونية». أمّا مثيلات خانم اللواتي يحاولن إطلاق مبادرات ترتكز إلى وقائع حياتهن ويعبّرن عنها بكلماتهن وفهمهن لما هو «سياسيّ»، فكثيراً ما يُستَخَفّ بهنّ أو يُهمّشنَ من طرف ناشطات حقوق النساء المحترفات من الطبقة الوسطى في المنظمات غير الحكومية لخروجهنّ على أجندتهن المرسومة والمحددة.

زهره علي

باحثة في جامعة تشيستر في بريطانيا، من العراق

العربي السفير

«يمكن الاتكال عليهن»

47 في المئة نسبة معدل الدخل القومي في المنطقة العربية التي سترتفع في حال تساوت أعداد النساء مع أعداد الرجال في سوق العمل، ويمكن لهذه المساواة أن تنتج 600 مليار دولار سنوياً.

نساء أكبر من الحرب

مشاركة النساء اليمنيات في ثورة 2011 كانت إحدى أكبر المفاجآت التي أدهشت العالم. جمعت ساحات الحرية والتغيير من صنعاء إلى عدن أعداداً كبيرة من النساء أتى أغلبهن من البيوت.

على الرغم من أنّ النساء شاركن في الثورة بشكل هام وأساسي، ووقفن في الخطوط الأمامية للاحتجاجات بهدف حماية الشباب المحتجين من قمع أجهزة الأمن، نظراً لما تمنحه الثقافة الاجتماعية من حصانة للنساء من اعتداءات الرجال في المجال العام، إلاّ أن هذا الزخم لم يستمر. لقد تم إقصاء النساء من الثورة والسياسة بشكل ممنهج. تعرضت الكثيرات للاعتداء بالضرب أو التحرش أو التهديدات والقدح من قبل جنود الأمن والمسلحين المدنيين الموالين لنظام صالح. أيضاً، كانت النساء عرضة للانتهاكات داخل التظاهرات والساحات من قبل القوى التقليدية الموالية للثورة.

لكن الحرب التي اندلعت في اليمن نهاية آذار/مارس 2015 بين الحوثيين وقوات الرئيس السابق صالح من جهة والرئيس هادي والمقاومة بدعم من السعودية والتحالف الذي أنشأته من جهة ثانية، ما زالت تدور حتى اليوم، مسببة أكبر الكوارث الإنسانية والخسائر في الأرواح والمواد، قد أحالت نساء 2011 إلى بشر غير ذوي حيلة.

الحرب لعبة الصغار

كانت آثار عائدة من كلية الهندسة حيث تدرس علوم الحاسوب إلى منزلها الكائن بكريتر بعدن، حين مرت بجانبها مسيرة تهتف بإسقاط النظام. بعد لحظات، وجدت آثار نفسها وسط المسيرة تهتف كما يهتف الجميع بإسقاط النظام وبناء الدولة المدنية. كان ذلك في منتصف آذار/مارس 2011.

في ثورة 2011، تصدرت مسألتا المعيشة والأمان قائمة اهتمامات النساء. كان الفقر والبطالة ونقص الخدمات الاجتماعية كالصحة والتعليم، هاجس النساء من صعدة إلى أبين. وفي عدن، حضرت القضية الجنوبية في كل لحظة. حضرت المطالبة بتسوية صيغة الوحدة اليمنية ما بعد حرب 1994 بين الشمال والجنوب، وفيها انهزم الجنوبيون ليسرّح الآلاف من الجيش ويُحال آخرون إلى التقاعد. كان والد آثار وهو مقدم في الجيش، أحد الذين سُرّحوا. مذاك، أطبق نظام صالح قبضته على سلطة القرار في صنعاء ومركزيته، تاركاً الجنوب للإقصاء والتهميش.

أتت الاتفاقية الخليجية للانتقال السلمي في تشرين الثاني/نوفمبر 2011 لتستكمل الإقصاء. لقد أعادت الاتفاقية الخليجية صيغة مركزية اتخاذ القرار للقوى التقليدية الحاكمة في صنعاء من دون إعطاء اعتبار لمشاركة الحراك الجنوبي كطرف في الاتفاقية، أو حتى كعضو فيها. هكذا أقصيت القضية الجنوبية من مسار العملية السياسية الانتقالية، وأقصيت كذلك أصوات النساء في الجنوب.

أكثر النساء عدن إلى بيوتهن، وخلت ساحات الثورة من الأصوات وخيام الاعتصام، لكن القليل منهنّ لم تعدن وحوّلن المجال العام لساحة احتجاج. وكانت آثار إحداهن. لم تعد آثار إلى البيت، وبقيت في الشارع تنظم المسيرات في ساحات الثورة بعدن. وفي 2012، إبّان المرحلة الانتقالية بقيادة هادي، نظمت وزميلاتها وزملاءها في «حركة شباب عدن» الوقفات الاحتجاجية أمام مرافق الحكومة مطالبين بتحسين الخدمات، وتعرضوا لمواجهات قوات الأمن. ثم أسست ورفيقاتها منظمة «ألف – باء مدنية وتعايش» ونصبت آثار في الأحياء الشعبية طاولة صغيرة يعتليها ميكرفون متواضع. يسأل المارة، ما هذا؟ فترد: ندوة، تعال إجلس وشارك.

آثار هي إحدى الميسرات المجتمعيات لبرنامج حل النزاعات برعاية «منظمة شركاء اليمن»، نجحت خلال عملها في حل العديد من قضايا الصراع، خاصة حول مشاريع المياه. عادة ما تعقد اجتماعات الحل مع الأطراف المتنازعة في فندق ميركيور. بعد يومين من آخر اجتماع لها في الفندق، سويت طوابقه بالأرض إثر ضربة لطائرات «التحالف العربي». لقد اندلعت الحرب في عدن أيضاً.

اندلعت الحرب، وأرغمت آثار على العودة إلى المنزل. حُبست في المنزل أسبوعين بلا ماء أو كهرباء أو تلفون، فجميع الخدمات دمرها القتال على الأرض وضرب طيران التحالف من الجو. فكان قرار النزوح ووالدتها ـ التربوية القديرة والمناضلة في جبهة التحرير ـ من كريتر إلى المنصورة حيث الأمور أهدأ. لم تتعرف آثار على الطريق، كان غريباً، خالياً من الناس والبيوت والمحال والسيارات، طريق تتناثر على حوافه حطام المباني ورماد الحرائق، تتوسطه الدبابات، وتقطعه نقاط التفتيش والمسلحون. المسلحون كانوا شباباً بل بينهم أطفال لا تزيد أعمارهم عن 16سنة. سألت والدتها: هل هؤلاء هم الحوثيون؟ ردت آثار: نعم. سألت الوالدة ثانية: لكنهم صغار. فأجابتها آثار: وما الحرب يا أمي غير لعبة الصغار؟

والدة آثار التي نظرت بعين الأم الدافئة نحو المسلحين، ماتت لاحقاً موتة طبيعية، في الوقت الذي مات فيه العديد من سكان عدن بالأوبئة التي سبّبها تعفن جثث القتلى.

عدن تدافع عن الإسلام

لطالما تعرض نشطاء الحراك الجنوبي للقمع من قبل قوات الأمن المركزي التي توالي صالح إلى أن جاء شباط/ فبراير 2015، لتصحو عدن على قرار محافظها بأن سلطة عدن تتبع سلطة الرئيس هادي ولا تتبع سلطة الانقلابيين الحوثيين.

عدن، التي لا تملك قوات أمن أو جيشاً يحمي سلطتها المحلية أو يحمي سكانها، استدعت «اللجان الشعبية» من أبين، وهي قوات مسلحة موازية للجيش أسسها هادي لمحاربة القاعدة في أبين العام 2013. ملأت اللجان الشعبية شوارع عدن، واندلعت اشتباكات متفرقة بينها وبين قوات الأمن المركزي إلى أن تحولت إلى معركة بالأسلحة المتوسطة بجوار مؤسسة آثار. فحُبست ومجموعة من الشباب والشابات الناشطين في ممر صغير داخل المؤسسة لأكثر من أربع ساعات اضطروا بعدها للمخاطرة والهرب إلى بيوتهم، ثم لم تعد آثار إلى المؤسسة.

قطع طريق عودة آثار إلى مؤسستها انشغال المدينة باستعدادات الحرب ثم بالحرب نفسها. كانت الشوارع مزدحمة بعمليات نهب المعسكرات وإحراقها، وكانت دعوات التجنيد أكثر من المارة، والمساجد ضجت الأرجاء بـ «حيّ على الجهاد»! احتل المسلحون المدينة، كانوا كُثراً: «اللجان الشعبية»، «الإصلاح» (إخوان المسلمون)، السلفيون، فصائل من الحراك الجنوبي، حتى «القاعدة» التي حاربتها اللجان الشعبية في أبين كانت معهم.

جاء هادي إلى عدن في منتصف شباط/فبراير، فتبعه الحوثيون، ثم استعرت المعارك، واضطر لمغادرتها إلى السعودية، وغادرت اللجان الشعبية أيضاً إلى أبين. «من سيحمي المدينة إذاً، من سيخوض القتال؟» سألت آثار نفسها، لكن الجواب كان جاهزاً: ما تبقى من المسلحين.

نشطت دعوات تجنيد سكان عدن وانضمامهم إلى المسلحين ليُسمّوا أنفسهم بعدها بـ «المقاومة الشعبية». في وسط اجتماع عام لناشطات جنوبيات ناقشن فيه تطورات الحرب، قالت آثار: «نحن متفقات على أن الحوثيين انقلابيون وميليشاويون بل وبلوة زرقاء، لكني لا أستطيع أن أصف المقاومة الشعبية إلا بالمليشيا أيضاً. كيف أصفهم بالمقاومة والسلاح الذي على أكتافهم منهوب من معسكرات الدولة؟ نحن لا نملك البديل يا رفيقاتي، علينا أن نعترف بذلك».

إلى الآن لا تعلم آثار لماذا تحارب عدن، هل دفاعاً عن شرعية هادي؟ لكن هادي هو جزء من نظام صنعاء، قاد معركة الاستيلاء على عدن في حرب 1994، وكان نائب صالح لسنوات، ثم انتخبه 7 ملايين أغلبهم من الشمال في ظل مقاطعة المحافظات الجنوبية للانتخابات. فمن شرعية أي نظام يحارب الجنوبيون؟ هل تحارب عدن لصد عدوان الحوثيين؟ ما الجديد في ذلك؟ لطالما صرّح الجنوبيون بأن الجنوب واقع تحت وطأة احتلال الشمال منذ 1994 وطالب بتقرير المصير. بقي أمر آخر، عدن تحارب الشيعة أو الروافض الحوثيين. «الروافض» هذه الكلمة الجديدة على آذان العدنيين ولا يعرف معناها أكثر المقاتلين، ما عدا جماعة الإصلاح والسلفيون والقاعدة، ربما! «عدن تدافع عن الإسلام إذاً!»، قالت آثار باستغراب.

سؤال للصباح

في حرب 1994، خاضت قوات صالح الحرب ضد الجنوب بخطاب ديني مشابه. آنذاك لم يكن الخطاب الطائفي رائجاً، بل محاربة الكفار أو الشيوعيين في الجنوب. لقد سُلِّمت عدن لعبثية الحرب وعدوانية الإسلام السياسي مرتين، إلا أن هذه المرة، الحرب أشرس والتطرف الديني أشد.

ما عسى أن تفعل آثار ورفيقاتها في ظل الحرب والتطرف؟ لقد قمن بأعمال الإغاثة للجرحى وأوصلن القافلات الدوائية للمستشفيات البعيدة، ووثقن انتهاكات الحرب من الطرفين، نشرن نداءات الاستغاثة ودعوات السلام على صفحات فايسبوك وتوتير، أنتجن أفلاماً قصيرة للتوعية. قمن بحملات للإفراج عن زملائهن النشطاء وعمال الإغاثة، حاولن صياغة مقترح يجنّب عدن الحرب، ويطالب بتسليم إدارتها للسلطة المحلية، لكن الحرب لم تتوقف.

تحررت عدن من الحوثيين في الصيف الماضي، لكن نشبت الاشتباكات بين «فصائل المقاومة»، وكذا الاغتيالات ضد القادة، وانتشرت تفجيرات تقوم بها القاعدة في كل مكان. أما التعبئة الدينية فأصبحت واقفة على رجلين. وفي كل صباح، تسأل آثار نفسها: «ماذا عساي أفعل ضد حرب أراد لها الجميع أن تنجح؟».

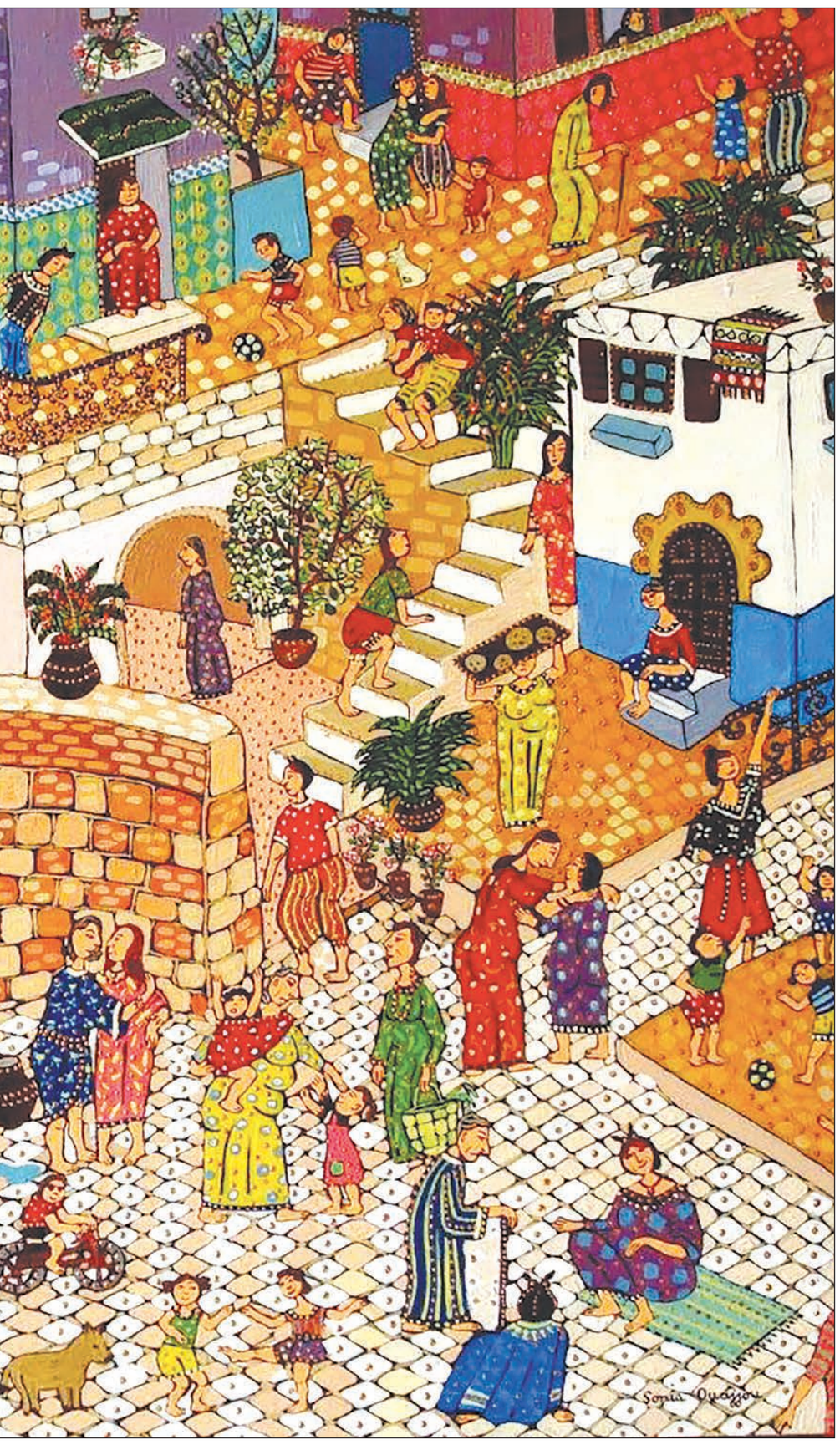

وميض شاكر

كاتبة من اليمن

النساء الشابات رافعة من روافع فك الحصار التنموي

سيدات كلثوم آيت مولاي محند

سيدات كلثوم، شابة مغربية انخرطت في العمل السياسي وهي ما زالت في مقتبل العمر، فهي من مواليد 1984 بمدينة الدار البيضاء. كان ذلك سنة 2003. بعد حصولها على شهادة البكالوريا في العلوم. اختارت التسجيل في مركز تكوين المعلمين والمعلمات بمدينة طاطا الواقعة بالوسط الشرقي للمغرب، على الحدود مع الجزائر. اختيار هذه المدينة لم يكن اعتباطياً، بل هو رجوع إلى الجذور الجغرافية لوالدها الذي اضطر إلى الانتقال إلى الدار البيضاء بحثاً عن لقمة العيش وهرباً من القيظ وصعوبات الحياة في المناطق النائية التي عانت لسنوات طويلة تهميشاً وحصاراً.

بعد تخرّجها وحصولها على شهادة التأهيل كأستاذة للتعليم الابتدائي، تم تعيينها بإحدى الجمعيات القروية التابعة لإقليم طاطا والتي تحمل اسم أقا إيغان. الشابة اختارت أن تنخرط في العمل الميداني، الجمعوي منه والسياسي، للمساهمة في فك الحصار التنموي والمشاركة في تحسين شروط عيش السكان. عودتها إلى هناك هي بمثابة تلبية لنداء منطقة كانت ترجع لها وهي طفلة رفقة والديها خلال بعض العطل الصيفية، وتلاحظ معاناة الناس مع قلّة الماء وصعوبات التنقل وضعف البنى التحتية وشبه غياب المدارس. وحدها بعض الواحات بثمارها وطيبة الناس البسطاء والإحساس بالأمان وبالثقة على الرغم من كل الصعوبات، ما يمكن أن يشجع شابة على الإقامة بل ويمدّها بالقوة اللازمة للمغامرة بالدخول في معمعة العمل السياسي وتدبير الشأن المحلي.

التحقت في البداية بالجمعيات العاملة في حقل التنمية المحلية بِطاطا، والتي شكلت بالنسبة إليها مدرسة حقيقية للتكوين، خصوصاً في حضور الدعم التقني لعدد من المنظمات الدولية التي مكنتها من الاستفادة من بعض آليات وأدوات ومقاربات التدخل في الحقل التنموي. حينما وصلت إلى مسقط رأس والدها (أقا إيغان) كانت على استعداد لاستثمار ما تعلمته، خصوصاً وقد هالها «مدى افتقار المنطقة إلى أبسط التجهيزات وضعف اشتغال الجمعيات بالمنطقة». بدأ مشوارها الجمعوي في إطار جمعية كانت تنشط بالدوار الذي تم تعيينها فيه، فقامت بالتواصل مع النساء لتكتشف القوة الكامنة لديهن ورغبتهن الأكيدة في المساهمة في تنمية أنشطتهن ومداخيلهن. مكنها انخراطها في العمل عن قرب مع السكان من الوعي بأهمية الالتحاق بالإدارة المحلية، فأعلنت عزمها على خوض معركة الانتخابات المحلية لعام 2009، وهو الشيء الذي لم يحظَ برضى ممثلي السكان الذين تصدوا لها لتثبيط عزيمتها. فهم «لم يكونوا يرغبون في تجديد الدماء ولا في من سيسعى إلى تغيير الأوضاع». غير أن إصرار سيدات كلثوم ودعم النساء والشباب لها مدّاها بما كانت بحاجة إليه من صبر وقوة وإصرار لربح رهان الانتخابات. لقد كانت شديدة الوعي بأنه يجتمع لديها عنصران يشكلان في حد ذاتهما إعاقات حقيقية في البيئة التي تعيش فيها، فكونها امرأة بالإضافة إلى شبابها لم يكن ليسهل أمر ترشحها. بيئة ما زالت تحافظ على تقاليد بل ولا تزال الانتماءات القبلية وحتى العرقية تعلو فوق الانتماء للمواطنة السياسية بمعناها الحديث، ولا يزال التمييز قائماً بين المنتمين سلالياً إلى الشرفاء وبين غيرهم. بيئة تقوم على التراتبية الاجتماعية التي تُقصي من دائرتها كل من لم يكن يقام لهم حساب في النظام القبلي التقليدي المخترق بنظام الهيمنة الذكورية، حيث لا مكان إلا لعليّة القوم المتحدرين تاريخياً من أغنياء القبيلة الذين هم بالضرورة رجال.

كان السياق الذي ترشحت فيه كلثوم يحمل عناصر تشجيع على المستوى الوطني، إذ تم في إطار إصلاح «الميثاق الجماعي» (القانون المنظم للجماعات)، وعلى إثر حملة واسعة لمكونات الحركة النسائية تبني كوتا بنسبة 12 في المئة مخصصة للنساء، الأمر الذي اضطر الأحزاب إلى الانفتاح على الناشطات من النساء ممن كن متواجدات في الفعل الجمعوي والتعاوني، بالإضافة طبعاً إلى من كن منخرطات في الشأن الحزبي. لم تترشح كلثوم ضمن اللائحة الإضافية المخصصة للنساء، وذلك إيماناً منها بأن ما استطاعت أن تتحصل عليها من ثقة الناس في الجماعة من خلال عملها الميداني كان كافياً ليجعلها تتبوأ مكانة متميزة في اللائحة المحلية من دون الحاجة إلى لجوئها إلى التمييز الإيجابي.. تقدمت كلثوم إلى المنافسة وفازت بمقعد في الجماعة التي عانقتها نساؤها كما شبابها وآمنوا بإمكانية التغيير.

فازت الشابة بثقة المواطنين والمواطنات ثم فيما بعد بثقة زملائها وزميلاتها في مجلس الجماعة حيث تم التصويت عليها لتحتل موقع نائب الرئيس. خمس سنوات مرت على انتخابها لتتجدد الثقة فيها للمرة الثانية بعد أن تقدمت مرة أخرى للانتخابات الجماعية في أيلول/سبتمبر 2015. تحمّلت كلثوم مسؤوليات متعددة وتواجدت في مواقع مختلفة استغلتها كلها من أجل الدفاع عن قضايا جماعتها وجلب التمويلات اللازمة لتحسين أحوالهم وتحصيل الاستثمار الضروري لإخراجهم من حالة الضيق والعزلة التي ضربت عليهم لسنوات.

من حسن حظ كلثوم أنها انتُخبت في مرحلة كان المغرب قد قام بإصلاح الميثاق الجماعي الذي نص ضمن بنوده على وضع لجنة للمناصفة وتكافؤ الفرص، كما أطلق برنامجاً تنموياً كبيراً تحت اسم «المبادرة الوطنية للتنمية البشرية»، حدد ضمن أهدافه القضاء على الفقر والتهميش في المناطق الأكثر عرضة لذلك. اعتمد البرنامج في تسييره وتدبيره على إشراك الفاعلين المحليين، الأمر الذي سمح للمستشارة الجماعية بأن تكون عضواً في لجنة المناصفة كما منحها إمكانية الوجود باللجنة المحلية لإقليمها، بالإضافة إلى تحمل مسؤولية رئاسة لجنة إعداد المخطط التنموي المحلي كما هو ملزم قانونياً للجماعات. إنها مواقع أعطتها إمكانية الاستفادة من التجربة والاطلاع على ما يجري بداخل تلك الأطر، كما سمحت لها بالانفتاح على مختلف الإمكانيات المتاحة على المستوى الخارجي.

لم يكن غريباً على كلثوم أن تختار الاشتغال أساساً على تقوية قدرات النساء والسعي لإدماجهن كفاعلات أساسيات في الحياة العامة بالمنطقة وتوفير التمويلات الضرورية لتشجيع الأنشطة المدرّة للدخل لهن.. كالسعي إلى تسويق منتوجاتهن وتشجيعهن على الانفتاح على منافذ خارجية تمكنهن من ربح قوت عيشهن. تؤمن كلثوم بما تختزنه النساء من ذاكرة ثقافية وتعرف بحكم احتكاكها بهن أنهن قادرات على المحافظة على التراث الثقافي المحلي الذي يعرفن أسراره وخباياه، وأنهن متمكنات من المهارات اللازمة لاستمراره وبقائه كعنوان للخصوصية الثقافية التي تميز منطقتهن واللائي يُعتبرن خزانه النابض.

منذ إعادة انتخابها للمرة الثانية خلال الانتخابات الجماعية الأخيرة، وبالنظر للتجربة التي راكمتها، تتطلع كلثوم إلى المساهمة بمعية الفريق الجماعي المحلي إلى خلق مشاريع سياحية بالمنطقة، خصوصاً أن هذه الأخيرة تتوفر فيها إمكانيات مهمة ومنها المناخ، إضافة إلى العمل على إنعاش الواحة وتجديدها وتوسيع الأنشطة الفلاحية فيها. ولا تخفي الشابة حلمها باستثمار مشروع الطاقة الشمسية الضخم الذي سيقام فوق تراب الجماعة وجعله في خدمة السكان.

تغريد البقشي ـ السعودية

لطيفة البوحسيني

أستاذة جامعية مختصة بقضايا النساء، من المغرب

«حتى لا تستعيد حفيدتي أحوال جدتي»

62 امرأة فلسطينية معتقلة في السجون الإسرائيلية، بينهن 15 فتاة، وقد ازداد اعتقال النساء خلال الهَبَّة الشعبية الأخيرة بنسبة 40 في المئة.

سونيا واجو ـ المغرب

الجزائريات والحداثة الجامحة من دون مقدمات

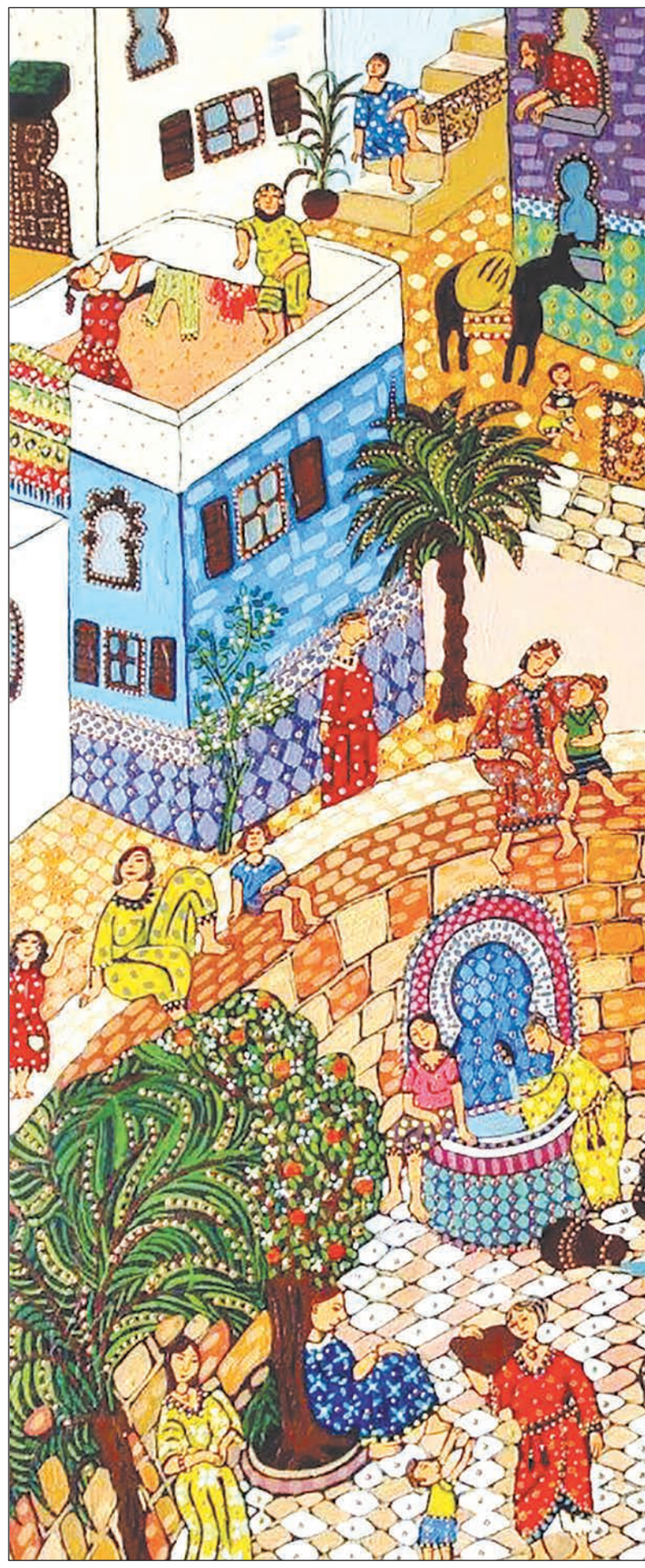

لم يكتفِ المستعمر الفرنسي في الجزائر بالاستيلاء على الأراضي والممتلكات، بل هجّر أعدادا هائلة من السكان، متسبباً بتفكيك دائم للمجتمع الجزائري. وللإمعان في ترسيخ هذه النتائج، عمدت سلطات الاستعمار إلى تطوير «قانون إسلامي جزائري» قامت بتبسيطه ثم فرضه، ما أدى إلى تشوه عميق في القانون الإسلامي الفعلي وبالتالي في ممارساته.

وسعياً لتفريغ المجتمع الجزائري من قيمه، هيمن المستعمر على قانون الأحوال الشخصية وركّز بشكل أساسي على إدانةَ وضع المرأة القائم. في هذا الإطار، يصف فرانز فانون عقيدة المستعمِر السياسية:» إذا أردنا أن نضربَ المجتمع الجزائري في صميمِ بنيته وفي قدرته على المقاومة، فيجب علينا قبل كل شيء كسب النساء، ويجب علينا السعي للبحث عنهن خلف الحجاب حيث يتوارين، وفي المنازل حيث يخفيهن الرجال» («العام الخامس للثورة الجزائرية»). الإسلام والنساء كانا إذاً التحديين الأساسيين في الحرب الاستعمارية.

في مواجهة هذا الواقع، استخدمت «جبهة التحرير الوطنية»، في سياق نضالها التحرري، خطاباً مزدوجاً يجمع بين إثبات قدرتها على التصدي لنير الاستعمار والتأكيد على هويتها الخاصة: خطاباً تقدميا ومنسجما مع المشروع الأوسع لتحرير الشعوب، لكنه أنتج نظرة ضيقة عن الإسلام ومشوهة. النساء هنا كنّ الضمانة لخصوصية الجزائر عبر انخراطهن في قتال الاستعمار إلى جانب الرجال.

أعادت سلطات ما بعد الاستقلال استنساخ هذه الأسطورة بممارسات مزدوجة جمعت بين الانخراط في جنون «النزعة التطورية» (developpementaliste) والإبقاء على قانون الأحوال الشخصية الساري منذ العهد الاستعماري السابق، بشكل يتوافق مع متطلبات الدولة الجديدة. هذه الشيزوفرينيا بين القانون الإسلامي الاستعماري وبين الممارسات الشائعة وديناميات المجتمع الجزائري تجسّدت بشكل أساسي في قضية المرأة.

الآمال المتناقضة للجزائر المستقلة

منذ الاستقلال، أطلقت الحكومة الفتيّة برنامجاً تطوعياً شاملاً للتدريس والصحة العامة تستفيد منه الفتيات والنساء إلى حدّ كبير، لكنها لم تطوّر كفاية الوسائل الضرورية لتسهيل الدمج الاجتماعي، لا سيما في مجال التوظيف. وبشكل مواز، أرست ممارسات تُعزِّز الفردانية. لكنها في المقابل طبّقت في العام 1984 قانون الأسرة الذي بدا انفصالاً واضحاً عن سياستها التحررية الخاصة.

من جهتها، حملت جمعيات نسائية ليبرالية ويسارية لواء هذا الخطاب التقدمي الذي تبنته السلطة، وجعلت من إبطال قانون الأسرة حصان معركتها، في حين كان غالبية الجزائريين يصارعون بشكل فردي من أجل حياة أفضل ولا يشاطرون النساء معركتهن التي بدا لهم أنها تخالف مبادئ الشريعة الإسلامية.

عوّلت الجزائر خلال الستينيات والسبعينيات على المكاسب المالية لتأمين حياة أفضل للجميع، لكن الأزمة التي طرأت في منتصف الثمانينيات أدت إلى تفاقم التناقضات لدى سلطة عفا عليها الزمن. وفتحت التمردات في تشرين الأول/ أكتوبر في العام 1988 الحقل السياسي على طموحات سياسية عالية النبرة ومتحمسة.

بدأ كل تيار سياسي بعرض مشاريعه الاجتماعية، التي لم تخل من التصادم في بعض الأحيان. وبينما كان الإسلاميون يعبئون الحشود، بدا خطاب التيارات النسوية، والتقدمية بشكل عام، أقل جاذبية. أحد أسباب غياب قدرتها على الحشد هي أن الجمعيات القديمة لم تشكك في أداء السلطة، بل ركزت على المطالبة بالشرعية التاريخية، في حين أن جزءاً من المجتمع المتمثل بالحركة الإسلامية كان يطالب بضرورة القطيعة مع السلطة.

كانت السنوات الثلاث الممتدة من العام 1989 إلى العام 1991 الأكثر انفتاحاً لجهة التعبير السياسي في الشارع. ازدهرت الصحف، ولم تفرغ طاولات الاجتماعات على وقع اتساع رقعة التظاهرات. في تلك الفترة تمكنت الجمعيات «النسائية» التي كانت تنشط سراً، من التحرك بحرية، وقد ركزت نشاطها على المطالبة بإلغاء قانون الأسرة أو أقله تعديله. في المقابل، كانت النساء ذوات التوجه الإسلامي يطالبن بإرساء الشريعة. وصلت المعارضة بين المعسكرين النسائيين إلى أوجها، وقد خرجت إلى الفضاء العام مجسدة حاجة ماسة إلى التعبير كانت قد قمعت لعقود طويلة. هكذا أصبحت الكتلة المكونة من مئات الآلاف من النساء، والمدفوعة من «الجبهة الإسلامية للإنقاذ»، مرئية ومسموعة للمرة الأولى. وإن كانت بعض هذه الحركات وغيرها مدفوعة بالتحريض الحزبي، إلا أن حراكها وسّع رقعة النقاش في الفضاء العام المتخاصم، لتشمل قضايا متنوعة (دور المرأة في المجتمع، المرأة في حرب التحرير الوطنية، المرأة في الإسلام، إلخ..) ذهبت أبعد من المواقف الإيديولوجية للأحزاب.

انقلاب العام 1992: نهاية النقاش

أطفأ انقلاب كانون الثاني/يناير 1992 حماسة النقاش التي كانت تغلي في السنوات الثلاث التي سبقته. موجة القمع المعممة ثم الحرب الداخلية دفعتا الجميع إلى الانطواء. منعت الهياكل الحزبية والتنظيمية وصحف «الجبهة الإسلامية للإنقاذ»، واعتقل كوادرها، في حين دفع القمع معظم النساء إلى التركيز على عائلاتهن وانشغل البعض بمساندة الأسرى وعائلاتهن، وعائلات من أُعدموا ومن أُخفوا قسراً.

تراجعت معظم «النسويات»، الخائفات على حياتهن، لكن البعض منهن بقين منخرطات في المعركة ضدّ الإسلاميين. ومرة جديدة، اتخذت هؤلاء النساء موقع الدعم الإيديولوجي للسلطة، على الرغم من أنها منحدرة من انقلاب. ولعبت هؤلاء النساء دوراً بارزاً في بروباغندا السلطة وتحديداً حيال الخارج.

في هذه المرحلة كان النظام يقود حملة دموية للقضاء على أشكال المعارضة كافة، المسلحة والسلمية، في عملية تفريغ منظم للحياة السياسية تؤسس للهيمنة المطلقة على كافة الفضاءات العامة. من هنا، لم يؤدّ تعزيز الأمن في العام 2000 إلى بثّ الروح في المجتمع المدني، وبقي الجزائريون والجزائريات على انقسامهم، وغابت بينهم أشكال التفاعل في الفضاء العام. الوحيدون الذين يدّعون الحفاظ على حيوية النقاش العام كانوا أهل السياسة وبعض الأكاديميين والصحافيين من دون أن يكون لهم أي فاعلية. أما الشبكات الاجتماعية فأتاحت وفرة في الآراء الفردية المثيرة للاهتمام لكن العقيمة في آن.

لكن هل انعكس هذا الجمود على أحوال المرأة؟ بالطبع لا. فقد دخلت النساء مباشرة في الحداثة، الحداثة الجامحة، المدمرة للمعنى والقيم. وتسببت التغييرات الاجتماعية ـ الاقتصادية في العقود الماضية الناجمة عن موجة التحضر (حوالي 75 في المئة أصبحوا من سكان المدن) والتفكك التدريجي للشبكات الأسرية والرعب والوحدة في سنوات الحرب والأزمة الاقتصادية وكذلك الرغبة بالاستهلاك والتنمية الفردية.. إلى اختلال في الوجهة لدى النساء والرجال على السواء.

صحيح أن أبواب المدارس والجامعات مفتوحة أمام النساء، لكن الظروف الاقتصادية دفعت بهؤلاء إلى سوق العمل، في ظروف مهينة في معظم الأحيان.

في الظاهر سيطرت النساء على الجامعات عدداً ونوعاً، وكنّ حاضرات في مختلف قطاعات العمل تقريباً، وتحديداً في القضاء (40 في المئة)، والتعليم الابتدائي (أكثر من 60 في المئة) والتعليم الثانوي والجامعي (50 في المئة) والصحة (70 في المئة) والإعلام (50 في المئة)، ولكن تمثيلهن بقي ناقصاً في المؤسسات السياسية.

وبشكل مواز، كان حضور النساء كبيراً في القطاعات غير النظامية. بحسب الأرقام الرسمية، في العام 2013، مثلت النساء 19 في المئة من مجموع القوة العاملة و17.6 في المئة من القوة العاملة الفاعلة. في العام 2011، 44.4 في المئة من الموظفات كن من حاملات الشهادات الجامعية و25 في المئة من محصلات التعليم الثانوي في مقابل 10.70 في المئة للفئة الأولى (التعليم الجامعي) و21.1 في المئة للفئة الثانية (الثانوي) فقط لدى الرجال. وبالنتيجة، فقد كن يحصلن على مرتب مرتفع قليلًا بسبب الشهادات الجامعية.. ولكن وفي المنصب نفسه، كانت أجورهن أقل من الرجال. أما مناصب المسؤولية فكانت محدودة جداً أمام النساء.

وعلى الرغم من حضورهن القوي، ظلّت النساء عرضة لتحرش الرجال والتمييز بين الجنسين في أماكن العمل. ومع أن بعضهن ممن انتسبن إلى النقابات، وأبرزها «الاتحاد الوطني المستقبل لموظفي الإدارة العامة»، رفعن مستوى الوعي بشأن هذه القضية «التابو»، وعلى الرغم مما يتيحه القانون من نصوص لملاحقة المتحرشين، إلا أن النساء بقين على خوفهن من تحمل تبعات الشكوى إذا تقدمن بها.

وعلى عادتها، لا تحدث التغيرات الكبرى والسريعة من دون تبعات، فقد اختل بشكل حاد نظام تقسيم الأدوار بين الرجال والنساء وكذلك أصول التواصل بينهما، وسيطر الضيق على الطرفين. هؤلاء اضطررن لأن يكن أكثر حزماً مع رجال شعروا بالتهديد على موقعهم داخل الأسرة والسلطة التي تنتج عنه. يُذكر هنا أن العديد من الرجال والنساء يميلون إلى تمجيد المجتمع التقليدي من دون التخلي عن بعض المكتسبات.. وتؤدي كل هذه التناقضات إلى ازدياد حالات العنف والطلاق والهجر.

وإن كانت الأسر التقليدية الممتدة لا تزال تشكل ملاذاً ودعماً للكثيرين، فلم يبقَ أمام الآخرين سوى الدعارة والتسول والجريمة من دون أن يتيح المجتمع المؤسسات اللازمة لاحتوائهم.

لا تواكب السلطات العامة بشكل كاف هذه التغيرات الطارئة في المجتمع، في حين أن المؤسسات السياسّية كما الإعلامية مشبعة بالتناقضات نفسها الناجمة عن هذا الانفتاح غير المنضبط على الحداثة. من جهتها، لم تعكس النصوص القانونية واقع الظروف المعيشية للنساء بل هي مصدر للتمييز بحقهن، في حين أن هيكليات الدعم الاجتماعي والدمج الوظيفي قاصرة.

في ظل انغلاق المجال السياسي، يبقى الجزائريون، رجالًا ونساء، عاجزين عن نقاش أسس المجتمع المتجذرة في المبادئ الإسلامية والمرمية في أحضان الحداثة المتعولمة في آن. مع العلم أن النساء اللواتي كنّ في طليعة التظاهرات ضد استغلال الغاز الصخري في عين صلاح أظهرن أن من الممكن التوفيق بين النموذجين.

سليمة ملاّح

رئيسة تحرير موقع Algeria Watch، من الجزائر

منى مينا: الحالمة التي لا تعرف المستحيل

للحق قوة، رغم ندرة تلك اللحظات التي ينتصر فيها الحق بقوته الذاتية كنتيجة حتمية يفرضها ببساطة منطقه واتساقه مع الفطرة السليمة. لكن أللحق جمال؟ إن أردت إجابة فلتنظر إلى الطبيبة المناضلَة منى مينا. ستخبرك صورة وجهها الباشة بـ «نعم» وهي تستمع لمحاوريها، ثم بصوت رقيق حاسم تفصل الأمر بردود لا تعرف المواربة، على قدر منطقية طرحها تُشعرُك أنها تتحدث بلغة البداهة، تقولها واضحة: «إحنا مشَ بنطلب حتّة من السما.. مطالبنا بسيطة.. اللي غلط يتحاسب»، فهل أوضح وأبسط وأحق من ذلك بياناً؟ ما أحصده من متابعة مينا ليس الوعي بما تطرحه أو الاقتناع بقبول الانحياز إليه، بل متعة معاينة الجمال «جمال الحق». ببساطتها وتلقائيتها، ترد مينا معادلة الخير والشر لأصلها الذي تصوره الأفلام الحالمة حيث ينتصر الخير برقته وبراءته وحكمته على الشر ببطشه وقهره وظلمه.

التميز النقابي

منى مينا هي طبيبة أطفال مصرية وناشطة حقوقية لها تاريخ حافل في الدفاع عن حقوق الأطباء والاشتباك مع مشكلات القطاع الصحي والطبي في مصر. تنادي دوماً بضرورة رفع ميزانية الصحة في الموازنة العامة للدولة وضرورة تأمين المستشفيات، كما تشير بعلو الصوت لمنافذ النهب والفساد المالي المستقرة في قطاع الصحة، لذلك استحقت أن تكون عضواً ثم أميناً ثم وكيلًا في نقابة الأطباء، وبذلك فهي أول امرأة تتولى منصب أمين عام نقابة الأطباء (2013) منذ تأسيسها في 1920. لمعت مينا كنقابية جادة لها دور بارز في المعارك التي تخوضها النقابة لانتزاع حقوق أفرادها، وهي تشرح لوسائل الإعلام قضيتها ببساطة مجتهد أعياه التمحيص حتى توحد مع قضيته. لذلك تصوغ مطالبها في نقاط مفصلة بلغة واضحة كالشمس. أثرت مينا كأم في نفوس كثير من شباب الأطباء، وتُرجم ذلك إلى صفحة فايسبوكية باسم «د.منى مينا الأم المثالية لشباب الأطباء». ربما لن تُخطئ حس الأم وروحها إن استمعت لكلمة مينا لدعوة الأطباء للحضور في الجمعية العمومية الطارئة التي عقدت مؤخراً في 12 شباط/فبراير 2016: «عايزين موقف قوي لكل الأطباء مع نقابتهم.. الشطارة إننا نركز على موضوع واحد. عايزين نوضح أد إيه الأطباء دول ناس متحضرين أذكياء محدش يقدر يشتتهم، محدش يقدر يفتح أي صراعات بينهم».

عصية على التلون

منذ «يناير 2011» وحتى الآن، لم ينجُ من التلون إلا القليل، صكُ هذا وصفاً لكل من انقلب على ما كان يُنادي به. كثيراً ما كانت المصلحة سبباً للتلون، فحيثما كانت ذهبوا، بينما الأكثر كان التلون النابع من الجهل، من عدم وضوح الأهداف، وعدم رسوخ المبادئ، رغم أن يناير تلك كانت ساعة «بدء الحساب الجماهيري» لكثير من الرموز الاجتماعية والسياسية، إلا أن رصيد منى من العمل النضالي السابق على يناير جعل منه ومما بعده بداية لـ «النجومية» الثورية والحقوقية للطبيبة المناضلة. لذلك فلتت مينا من هذا الوصم الذي أجهز على رموز كثيرة، فقدمت نموذجاً للناشط السياسي والحقوقي المجافي للشعارات الرنانة والتنظيرات المعقدة. لم تتلون لأنها لم «تتقمص» دور المناضل، فلم تتطفل بتصريحات ومواقف عنترية على كل القضايا الساخنة حولها، ما فقهت منها وما لم تفقه. آمنت بقضيتها التي تعرفها تماماً، فكان شغلها الشاغل حالة الصحة وحق الطبيب ومن ثَمَّ حق المريض. حتى لما شاركت مع جموع المصريين في يناير 2011، مباشرة اتجهت لدعم إنشاء مستشفى التحرير الميداني. هكذا تكتب الطبيبة «روشتة» للنضال ترتبط باستثمار وتوظيف معارف المناضل وتعتمد على تنميتها، تتكئ عليها وتتفرع منها. وعلى الرغم من الطفرة التي شهدتها مصر في تغيّر قيادتها السياسية، إلا أن بقاء القضايا الكبرى مثل الصحة والتعليم على ما هي عليه، أبقى منى كذلك على ما هي عليه، المناضلة الجسورة. فكان ثباتها بمثابة إجبار لخصومها على الهذيان، فهي «مبعوثة الكنيسة لإسقاط الرئيس مرسي» كما قيل عنها في عهد الرئيس المعزول محمد مرسي، بينما هي اليوم مرشحة للتهمة الأكثر رواجاً في مصر «لها ميول إخوانية»!

بؤرة للالتفاف

ربما لم تسعَ منى مينا لأن تمثل بؤرة جذب ونقطة لالتفاف أطياف جماهيرية مختلفة حولها، إلا أن سيرتها ومسيرتها حققت لها ذلك، فهي تُستدعى كأيقونة نسوية ثرية تلخص الرسالة الأهم: «المرأة تستطيع»، ليس فقط أن تستقل وتنجح لكن أن تكون زعيمة وقائدة وملهمة. وربما كذلك تمثل سيرتها ضغطاً مُلحاً للمراجعة لهؤلاء الذين ما زالوا يرفضون الأدوار القيادية للمرأة، من زاوية أخرى يستدعيها بعض الأقباط في صفحاتهم الفايسبوكية ومواقعهم الالكترونية متابعة واحتفاء «أن من بيننا خرجت منى مينا». رغم مشروعية هذا وذاك، إلا أن الأولى بمينا هو أن تحسب كعلامة مشرقة في تاريخ النضال الإنساني المجرّد، إذ يتبين المتابع لسيرتها أن انحيازها لم يتجه أبداً لطائفة محددة أو نوع بذاته. بل هي انحازت للحق أياً كان صاحبه، تهمّ لنصرة المظلوم وبجسارة تساعد المحتاج من دون أية اعتبارات طائفية، لذلك فقد رفضت التصديق على وجود فتنة طائفية في مصر، وتبنت وجهة أنه مجرد افتعال للفتنة. ربما تلك أحد أهم كراماتها، إذ بطبيعة الحال، ولكونها «امرأة قبطية» فهي تخبر جيداً على الأقل «قضايا» زاويتين من زوايا المثلث البائس «الأقليات والنساء والفقراء» الذي تعايشه المجتمعات.

منى الزوجة

في المجتمعات الشرقية، يحرق الفضول الأنفس ولا ينطلق الخيال المكبوح ليسعفها، لتتصور الوجه النسوي للمرأة المناضلة. كيف يراها زوجها؟ وكيف يتقبل قراراتها التي قد تعرضها والأسرة للمخاطر؟ كيف يكون خلافهما؟ أسئلة كثيرة قد تشغف الأذهان التي لم تعتد صورة المرأة المستقلة. يجيب المهندس سعيد أبو طالب، زوج د. منى مينا: «تزوجنا ونحن نعمل بالسياسة، أنا كنت أنشط في مدينتي وسط يساريي السبعينيات من القرن الفائت، وهي كذلك كانت ناشطة طلابية. وأول مرة يُقبض عليها في قضية اقتحام هندسة عين شمس لمدة 24 ساعة – على ما أذكر. تعارفنا بعدها وتزوجنا في العام 1980 وهي طالبة في كلية الطب وكنت أنا قد تخرجت (1979) في هندسة عين شمس. أشجعها وأخاف عليها.. هو دائماً مزيج من اختلاط المشاعر، وهي دائما تشاورني مثلي مثل زملائها المقربين في «أطباء بلا حقوق» ولي لديها وضع خاص كزوج وحبيب وناشط سياسي. تتقبل في الأغلب آرائي باحترام وتفهم، ولكن أحيانا نختلف، وقد يصل الخلاف إلى حدود شديدة نسبياً ولكننا سرعان ما نعود لنتفاهم. مثلًا، فقد أيدتها بداية في قرارها بالاستقالة بعدما انتخبت أميناً عاماً في نقابة الأطباء، ولكن عندما أحسست بحزنها الشديد بسبب احتمالية رجوعها عن الطريق الذي رسمته لنفسها، تراجعتُ وظللت ألح عليها حتى تراجعتْ». ويضيف: «منى كأم تعشق سلمى وشادي، وتكون كالطفلة معهما، ولا تظهر شجاعتها الفائقة إلا إذا أصاب أحدهما مكروه».

إنّ ما اجتمعت عليه الأقلام الصحافية من أوصاف مثل «قديسة الأطباء» و «سيدة مصر الأولى» و «مسيح التحرير».. كلها تشي بأحد أسرار السيدة التي تترك انطباعاً حميماً في نفوس متابعيها، يتخطى التأثير على العقل لينفذ وبعمق إلى الروح.

بسمة فؤاد

باحثة من مصر

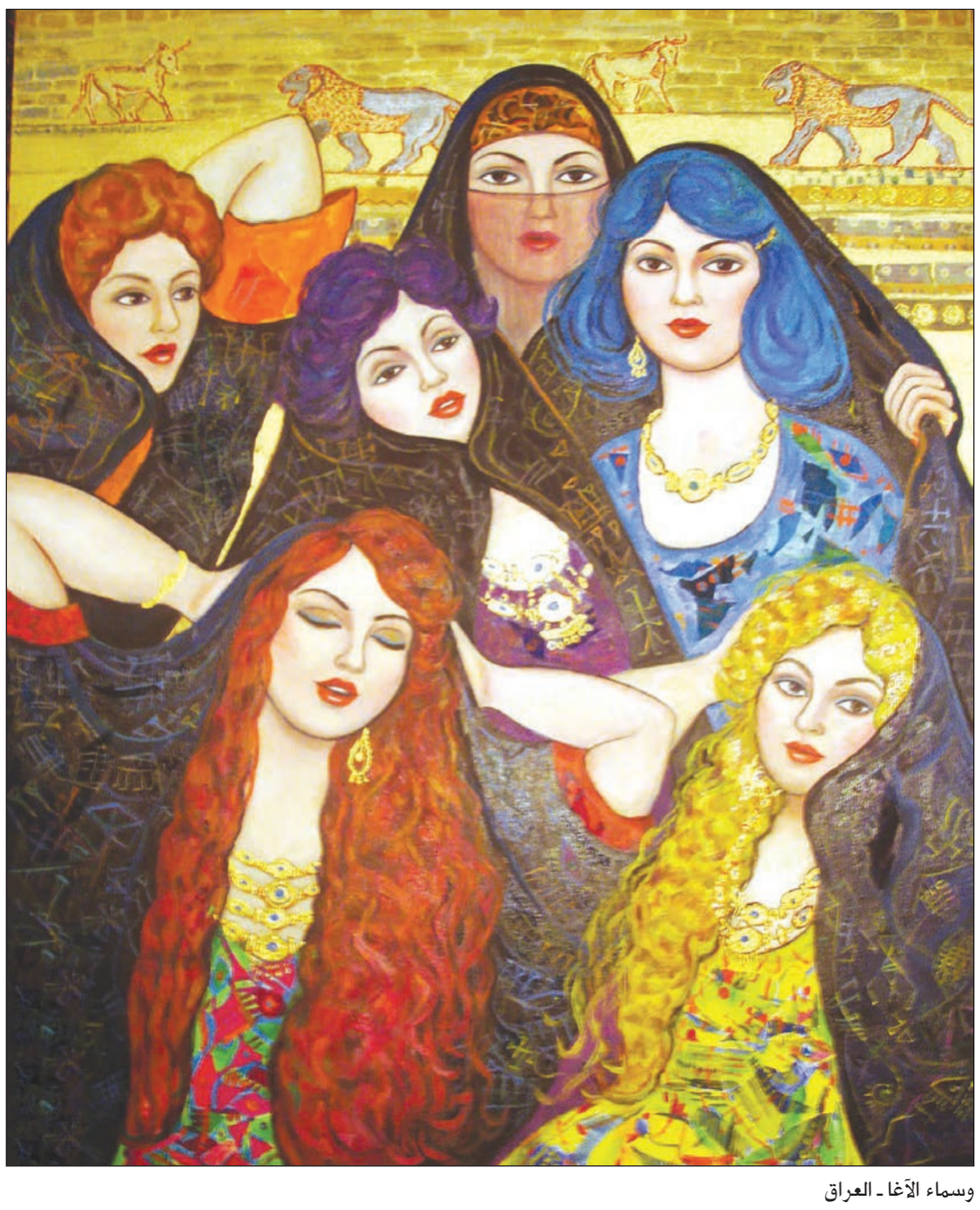

وسماء الأغا ـ العراق

العربي السفير

«هُنّ»

70 في المئة على الأقل من النساء في جنوب السودان يتعرضن للعنف الأسري، وتبلغ نسبة الزواج بين القاصرات 45 في المئة.

ألبستني كشجرة.. سماور وحكايات وحب

لمحة من أمي الكثيرة

.. لكن لن أصدّق أن أحداً يشعر بالحنين إلى يوم الخميس في سبعينيات القرن الماضي. حيث تقوم قيامة البيت قبل يوم العطلة الوحيد (الجمعة). صرير الغسالات اليدوية وبخار الماء المفعم بروائح «أدوية» الغسيل التي تتصاعد من برميل غلي الثياب البيضاء والطشوت المتعددة للتبريد والشطف والنقع بالنيلة. استنفار شامل، تُنزع الملاحف والأغطية والشراشف لتكشف عرّي المفروشات وألوان دواخلها وطراز تصاميمها، تتكوّم تلال من الألبسة بانتظار دورها الذي سيستهلك يوماً بطوله مع أعصاب الأولاد وتذمرهم من الطعام المتقشف كل خميس وضيقهم من رؤية ثيابهم العزيزة وقد رُميت أرضاً مع ثياب بقية الأخوة بحسب تسلسل الألوان دون اعتبار للخلافات البينية التي ستكسر خاطر تنورة الأخت وقد اعتلتها بيجاما الأخ الرياضية وجاورتها بلوزة الصغيرة المبقعة بالزيت والصلصة!

في ذاك الزمن لن يخطر ببالك أن تشفق على يدين اثنتين منكوبتين بالأعمال الشاقة طيلة الأسبوع الذي يتكلّل بمباراة الخميس الماراثونية، بل ستشارك دون أن تدري في تعذيبهما وانهاك صاحبتهما بأنانية الحاحك على حصتك المستحقة من صبرها ودلالها، وسيطير صوابك من اقتراحها أن ترتدي قميصاً أخضر مع تنورة بنية. يا للظلم ويا للقبح والاستهتار!

كنت أتوقّع أن تصرخ أمي أو تنهار باكية من أعبائها التي لا تنتهي، وعجزها عن إرضائنا ونحن ننهال عليها بطلبات واعتراضات تجعلها تلهث وهي تستنفر أقدامها مع صوتها وانتباه عينيها لمؤازرة يديها الكليلتين. لكنني ابنة أمي، لا أنا استطعت ابتلاع إهانة ارتداء ثياب متنافرة الألوان، ولا هي ارتضت أن تظهر أمامي منحرفة الذوق ولو لعلّة استثنائية يوم الغسيل. وقفت حائرة ثم أمسكت بيدي وأخذتني إلى حديقة البيت، هناك لمعت في رأسها فكرة جعلتها ترقّ وتزهو: انظري إلى الأشجار! كنت لم أزل مرتبكة من ردّة فعلها غير المعتادة، فنظرت إليها ببرود حذر مستفهمة عما تعنيه. أوضحت: كل الأشجار تلبس البني مع الأخضر، وها أنت ستلبسين مثلها. أعتقد أنها اكتشفت تلك الفكرة لتوّها، فأخذت تطورها وتسهب في شرحها لنحفظها معاً. من اليوم عليك أن تتأملي الطبيعة لتتعلمي تناسب الألوان، لا تدعي أحداً يفسد ذوقك. تجتاحني ذكرى خميس الغسيل ذاك وأنا في دوامة أخبار سوريا. قلوبنا عارية، ثيابنا المتسخة تضمر الضغينة لبعضها، عالقون في محنة الغسيل الكبير، ولا أمّ لنا.

الجدة منى الحمصية

ما إن تقول حمص حتى تضحك سوريا! هي حمص المعروفة بالمرح وخفة الدم والنكتة، المدينة الطيبة السهلة الواسعة وكنيتها أم الفقراء والدراويش، حيث كل شيء في حمص رخيص متوافر يتناوله الجميع بيسر. هذا سرّ المدينة المباح الذي لا يشرحه أحد، ولا يستطيع أحد إنكاره أيضاً.

لذلك كان على منى الحمصية أن تطوّر درجة من الرزانة تتناسب مع وضع زوجها الصاعد في سلك الشرطة بداية سبعينيات القرن الفائت، وكانت وظيفة ذات اعتبار وقتذاك، مع أن نساء الضباط حينها لم يكن قد اكتشفن كل الكنوز التي تنطوي عليها نجوم بدلة الشرطة ونياشينها. فالعادة بين النساء اللواتي كن من دون تأهيل أو مهن خاصة بهن أن تستنسخ واحدتهن مهنة الزوج أو الأب أو الأخ الأكبر وتتقمص دوره سواء في غيابه أو حضوره. مثلاً: زوجة الطبيب من الطبيعي أن لا يستعصي عليها مرض، فلا تتردد في تشخيص الحالة ووصف الدواء. وليست أقل منها زوجة المحامي أو زوجة «معلّم» الكهرباء أو زوجة مدّرس الرياضيات. فالمشاكل متشابهة والأسئلة واحدة، وهناك جملة من المحفوظات والمألوفات تتكرر دائماً، وبكل الأحوال الأخطاء تحدث، ولا من رقيب أو حسيب.

كانت منى امرأة جميلة، ما دفع الضابط لقطفها من بين اخواتها متجاوزاً الأعراف التي تقتضي تزويج الأخوات بالتدريج ابتداء من أول العنقود. هذه الحمصية الطيبة كانت «حلوة وما بتعرف أنها حلوة»، زوجة ضابط ولا تعلم مدى سلطانها. من بين كل فضائل وضع الضابط، كانت منى مُغرمة بسيارة الشرطة، وإذ انتقلت إلى الحسكة وقبل أن تصبح الصديقة المفضلة لعدد كبير من نساء الموظفين، أقصد قبل أن تصبح السيارة ضالّتهم المنشودة، اكتشفت منى سهولة أن «تخطف رجلها» إلى عند الجيران الأتراك أو الجيران العراقيين. حينها كانت سوريا ما تزال محافظة على حسن الجوار، فالتزاور قائم والتجارة جارية، وحتى قطعان الأغنام كانت تشرد بين القرى المتداخلة دون أن يكدرّ شرودها عائق.

حملت منى الكثير من العبارات والنكات واللطافات العفوية إلى أصدقائها الحسكاويين، لكن صيتها ذاع بفضل ترويجها لـ«السماور» الخاص بالشاي التركي، مع كاساته الصغيرات من الزجاج الرقيق الشفاف المخصوصرات بأناقة وانسياب. في الحسكة، المدينة الحدودية البعيدة في الشمال الشرقي، يحتفل الناس ببعضهم، يشجعون الآخرين على التواصل معهم. هناك فقط، مع كل لقاء تحصل على هدّية: إن أتوا لزيارتك يحملون لك واحدة، وإن ذهبت إليهم لن يدعوك تعود بيد فارغة. وهكذا كانت تمتلئ الحقائب تليها الصناديق بمفارش السفرة المشغولة بإبر «الآشوريات» وسنانير «المردلّيات» وشالات «الكرديات» الملونة، والفساتين المطرزة بأيادي «العربيات»، ترافقها أطقم البلور المفضضة والمذهبة الواصلة من اسطنبول وبغداد لتذهب جميعاً في رحلة العودة المظفرة إلى مزرعة الضابط الجديدة في حمص. المزرعة التي لم تسكنها منى رغم انتقالها إلى حمص أسرع مما توقعت إثر وفاة زوجها بنوبة قلبية. كانت النوبة مباغتة أما القلبية فمذهلة! تقول منى بغيظ مبطن بالتهذيب وبرهبة الرتبة العسكرية ربما: «المرحوم ما كان يعرف شي إسمه قلب، كلّه عقل ونظام ماشي مثل الساعة»!

لم تتزوج منى لأنه كان يُفترض أن تنتظر عميداً أو لواء ليكون جديراً باحتلال مكان العقيد المرحوم، وهؤلاء يموتون قبل نسائهم «المؤلفات» أي اللواتي يعشن ألف عام، كناية عن خبراتهن المتوارثة وقدراتهن على المكر واستغلال الظروف لصالحهن، كما أنها تعرفهم جيداً (العمداء والألوية) «عيونهم لبرّا ويزهدون بسرعة بما يملكون».

«كل شيء أبقى من بني آدم»، هكذا كانت تردّد منى كلما ذهبت إلى المزرعة لتتفقد مقتنياتها النفيسة، وتدلّل نفسها ببهجة ذكريات الشباب وأسرار الصديقات المتناثرة على مقاعد سيارة الشرطة الرصينة. عالم يزداد سحراً ويبتعد وهي تسير إلى الجامعة لتدرس الأدب العربي، ثم وهي تزوّج ابنتها الوحيدة، وبعدها عندما تنشغل بتربية حفيدتها. عالم انهار الآن نهائياً: صاروخ حوّل المزرعة إلى ركام وأنقاض.

«سبحان مغيّر الأحوال» أصبحت حكمتها المفضلة المشفوعة برضىً كان منهوباً بهمس يتناهى إلى مسامعها عن سرقات عقيدها المرحوم وتحكّمه بحاجات الناس وتورّطه في الرشوة والفساد، فيسرق طمأنينة قلبها العادل الذي منعها أن تتمتع بالمزرعة ومحتوياتها، «كنت أتشاءم منها، أشعر أنها ليست من حقي، لا أقدر أن أظلمه وأقول أنها مال حرام، فالأموات لهم ربّ يحاسبهم»!

طال حصار أحياء حمص، فضاقت الأحوال وجاعت البطون وذهبت الإلفة والمرح، رحلت ابنتها مع زوجها ليعملا في الخليج، ونزحت منى وحفيدتها إلى اللاذقية، «الحياة هنا نعمة، يوجد كهرباء ونستطيع متابعة المسلسلات التركية». ما الذي يعجبك في المسلسلات التركية أيتها الجدّة يا مدرسة اللغة العربية؟

ـ كل شيء.. السماور والحكايات والحب وكل شيء.

ـ الحب؟!

ـ نعم الحب، يسعد ربهم، رجالهم عندهم دم، عندهم روح.

ضحى عاشور

كاتبة من سوريا

حلـــم..

ليلى نورس / العراق

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»

ـ ليلة مع النساء ـ امتياز دياب

ـ أضواء على أول مجلة نسائية عربية ـ منى علاّم

ـ خمسة من «دفاتر السفير العربي» عن النساء

ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi

ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

سَتصِلين!

تصوير: نداء بدوان

تصوير: محمد بدارنة («خاص السفير العربي»)

مدونات

الاستقلال الفكري قبل المادي

أنا مش معنّفة ولا هربانة.. علاقتي كويسة مع أهلي، ويمكن دي أكتر حاجة مدّياني دعم نفسي في الفترة دي. ليه استقليت؟! لأني ببساطة اكتشفت أننا في مصر ما تربيناش ولا اتعوّدنا غير على التبعية، التبعية في كلّ شيء: في الشكل، في الفكر، في المستقبل، وفي أسلوب الحياة نفسه.. ما تربيناش عالاستقلال، وما عرفناش يعني إيه قرار ويعني إيه أكون أنا صانعة القرار والمسؤولة عن نتائجه.

لقيت نفسي خلصت الجامعة وكمّلت الـ21 سنة واتقبلت في الجامعة الأمريكية، فقلت ده أنسب وقت إني أستقلّ.. والاستقلال بالنسبة لي فكري قبل ما يكون مادي.. محتاجة اكتشف نفسي أكتر وأتعرف عليها وده عمره ما هيحصل طول ما أنا جوّه منطقتي الدافية مع أهلي وأصحابي ومعارفي.. محتاجة أطلع برّه كلّ ده عشان أعرف نفسي. معرّضة للفشل أكيد، بس لو جينا للحق أنا ما نجحتش في حياتي غير لما اعترفت إني فشلت، فالفشل بالنسبة لي ظاهرة صحية جدا بتخليني أعيد ترتيب أفكاري وأوراقي زي الـpuzzle كده.

(إسراء عطية، 21 سنة، الاسماعيلية)

من صفحة Femi-Hub (عن فايسبوك)

سوق الحَلال «لعرض النساء» على فايسبوك؟

سوق الحلال في عمّان كان في موقع شارع سقف السيل، و كانت بلدية عمان تأخذ «باج» أي ضريبة بسيطة حوالي «شلن» على كل رأس يتم بيعه في السوق ، كان ذلك في الثلاثينيات من القرن الماضي وكان الناس في عمان وما حولها وفي مناطق مختلفة من الأردن يأتون إلى سوق الحلال لبيع وشراء الحلال من الجمال والأبقار والأغنام وغيرها.

تذكرت سوق الحلال وأنا أقرأ مجموعة من البوستات على جروب فيسبوكي تعبّر فيه الفتيات عن حجم الطلب عليهن، وكم طبيباً تقدم لها وكم مهندساً وكم محامياً.. لا أعرف أية مصيبة أدخلتني هذه الصفحة، لكني تفاجأت من أن الصفحة تحولت «لسوق للحلال النسائي» الذي تقوم فيه إحداهن بطلب مواصفات أخرى حتى تعرضها على أخيها.. وتقوم الأخرى بسؤال الفتيات ما هي أقل قيمة للمهر تقبلين بها... حقيقة الإجابات مريعة ومخيفة وأشعرتني أن سعري عند الزواج كان بخساً جدا فلم يدفع عريس الغفلة غير تكاليف العرس الذي شاركته بها مناصفة... وأعتقد أن السبب هو أنه لم يكن «عليّ طلب» فلم يأتِ لا محام ولا طبيب ولا مهندس ولا راعي غنم لطلب يدي من والدي...

لم أشعر بالإهانة كأنثى ولكني شعرت بالغثيان من تحقير للعلاقات الإنسانية، وتأكّد لي أن الزواج في بلادنا يكون غالباً كما يقول المثل «راسين بالحلال» بدون أدنى اهتمام الفكر الذي يتصل مع هذين الراسين.

من صفحة Lubna Fayez Bajjali (عن فايسبوك)

شهادة صبيّة مصرية كسرت القيود

استقلّيت فى القاهرة من سنة ونص تقريباً.. أهلي محافظون جداً دينياً، وده كان مخلّينا على طول في صراعات خايبة على حكم لبس البنطلون للمرأة أو مخالطة الرجال. لما دخلت الكلية كان لا يجوز سفر المرأة بدون محرم فما كنتش أجي القاهرة غير لمّا والدي يجي معايا. حاولت أتأقلم، اشتركت في أنشطة كتير وعملت في بورسعيد في مبادرة ثقافية وكنت متحمسة جداً. والدي كان بيجي يحضر معايا عشان يتطمّن إني ما بعملش حاجة غلط. الموضوع كان مهين ومحبط للغاية.. طول حياتي كنت حاسة إني غرقانة في صراعات مستنزفاني عالفاضي، ومش عارفة أكبر.

جالي تدريب في القاهرة لمدة 10أيام فقعدت يومين كاملين أقنع أهلي، وطبعاً رفضوا. تالت يوم أخدت شنطة هدومي ومبلغ بسيط وسافرت القاهرة. قضيت أيام سودا بمعنى الكلمة، مش عارفة هأقعد فين ولا آكل إزاي. كنت بكلّم ربنا وبقولّه إنّي كان لازم أعمل كدا.. بعدها بدقايق بيكلمني أحد معارفي وبيقولي إني ترشحت لوظيفة، واللحظة دي كانت من أسعد لحظات حياتي. بعدها، أهلي انتقلوا لمرحلة التفاوض معي.. عجبتني فكرة الشغل، وكنت بصحى 5 الصبح عشان أسافر يومياً من الإسماعلية للقاهرة اشتغل، وبصرف أكتر من نص المرتّب على المواصلات، بس ببني نفسي وبكبر.

(سهيلة ـ 23 سنة ـ بورسعيد)

من صفحة Femi-Hub (عن فايسبوك)